مقابلة مع الأب ألبير أبونا

أجراها الأب آزاد صبري

مع انه لا يهوى المقابلات الصحافية والتلفازية والإذاعية، بل يحاول تجنّبها قدر المستطاع، لكنه لم يسعه التهرب من المقابلة التي عرضتها عليه مجلة " **نجم المشرق** " العزيزة على قلبه، فأجاب الأب ألبير أبونا، الغني عن التعريف، عن أسئلتنا مشكورًا.

س : ماذا تخبرنا عن حياتك ومسيرتك الكهنوتية وخدمتك الراعوية ؟

ج : إن الكلام عن الذات أمر بغيض، ولكن ما العمل، لا مَفَرَّ منه. أبصرت النور سنة 1928 في قرية فيشخابور الواقعة في أقصى الشمال الغربي من العراق، على الحدود السورية – التركية، ودرستُ المرحلة الإبتدائية في القرية نفسها ثم في زاخو، وفي نهاية عام 1940 دخلت معهد مار يوحنا الحبيب الكهنوتي في الموصل، وأمضيت فيه (11) سنة، حيث تلقّيت العلوم اللغوية ثم الفلسفية واللاهوتية.

في 17 حزيران 1951 رُسمت كاهنًا، وفي الصيف الأول مارستُ الخدمة الكهنوتية في القرى الشمالية من أبرشية زاخو بمناسبة السنة المقدسة للعالم، وفي عشية عيد الميلاد سنة 1951 عينني راعي أبرشية زاخو، مثلث الرحمة المطران حنا نيسان لخدمة قرية افزروك والقرى المجاورة لها في منطقة السليفاني.

س : كيف بدأت عملك ونشاطك ككاهن شاب في قرية ؟ وهل لاقيت هناك أي معاناة ؟

ج : كانت افزروك قرية يقطنها نحو (40) عائلة، يهتم سكانها بتربية المواشي

وبالزراعة، ومعظمهم يتكلمون اللغة الكردية، مما اضطرني إلى تعلّم هذه اللغة لكي يتسنى لي التداول معهم وإرشادهم وسماع إعترافاتهم.

أما خدمتي في القرية، فكانت تتوقف على الزيارات وتعليم الصغار التعليم المسيحي ومبادئ القراءة الكلدانية والعربية. وكانت في المنطقة خمس قرى أخرى منتشرة على مسافات متفاوتة من المركز، وكان عليَّ أن اتفقدها وأقيم القداس فيها كل أسبوع أو كل شهر بحسب بعدها عن المركز، وكنت أتنقل على متن فرسي يرافقني شماس أو أحد أهالي القرية، ولم تكن الأسفار سهلة دومًا، لا سيّما في فصلي الشتاء والصيف، ناهيك عن الأخطار الممكنة.

ولكني كنت أعاني كثيرًا من العزلة والوحدة، ولم تكن خدمتي الكهنوتية تشبعني، فأقضي أوقاتي في القراءات والمطالعات، وبقيت على هذا الحال أربع سنوات من نهاية عام 1951 حتى 1955. وفي خريف 1955 أستُدعيت للتدريس في معهد مار يوحنا الحبيب في الموصل، حيث واصلت العمل حتى عام 1973.

س : ماذا كان دورك في معهد مار يوحنا الحبيب الكهنوتي ؟

ج : كنت أقيم القداس الكلداني للتلاميذ، وأقوم بتدريس اللغة الآرامية بلهجتيها الكلدانية والسريانية، وأحيانًا علّمت اللغة العربية والفرنسية للصغار، ولكني سرعان ما شعرت بنقص كبير في المعهد من ناحية التاريخ الكنسي الشرقي والآداب الآرامية، فشرعت أدرّس هذه المواد وأكتب ملاحظاتي حولها، ثم أخذت أدرّسها لطلبة قسم الفلسفة واللاهوت، وهكذا نشأ كتاب " أدب اللغة الآرامية " والكتاب الآخر " تاريخ الكنيسة الشرقية " بجزء واحد ثم بثلاثة أجزاء في وقت لاحق. وكنت أقوم بإرشاد بعض التلاميذ وبالإعترافات الأسبوعية، وأُلبّي إحتياجات الخورنات في الموصل، من قداديس ورياضات روحية ومواعظ الصوم الكبير والآلام وغيرها... وفي الستينيات شرعت أُترجم بعض الكتب الصغيرة ثم الكبيرة، ثم عكفتُ على الكتابة والتأليف، مستغلاً وقتي القليل المتبقى من التدريس

والواجبات... وهكذا توصلت بجهود كبيرة إلى نشر العديد من الكتب... وقد تعلمت أن أكون دومًا في خدمة الآخرين بكثير من السخاء مع الإلتزام بواجباتي الأساسية في المعهد... ولم أترك المعهد إلا حينما لاحظتُ أن الأمور فيه أوشكت على الإنتهاء، فانتقلت إلى بغداد سنة 1973.

س : كلِّمنا الآن عن خبرتك الرهبانية عند الكرمليين ثم عند الرهبان الكلدان ؟

ج : إنتقلت إلى بغداد كمساعد لكاهن خورنة كنيسة مار گورگيس في بغداد الجديدة، ولكني فضّلت حياة العزلة والكتابة في دير الإبتداء لراهبات الكلدان في الزعفرانية، وبعد (25) سنة في الكهنوت قررتُ أن أعتنق الحياة الرهبانية، فسمح لي رؤسائي بذلك، فانتميتُ إلى الرهبنة الكرملية، وأمضيتُ سنة الإبتداء في فرنسا (1976-1977) وعدت إلى بغداد حيث أبرزت النذور الأولى، ثم الدائمة في وقت لاحق، ومع إلتزامي بالقانون الرهباني في الكرمل، كنت أيضًا أخدم في بعض الخورنات، ولا سيّما في كنيسة العائلة المقدسة في البتاويين ثم في كنيسة مريم العذراء في الكرادة، وكنت أقوم بنشاطات أخرى كثيرة : رياضات روحية، أخويات، مواعظ، إضافة إلى القداديس، وأنشأت في كرادة مريم خدمة التعليم المسيحي لأولاد المنطقة... أحببت الروحانية الكرملية كثيرًا وقرأت كتابات متصوفيها : تريزا الكبيرة، يوحنا الصليبي، تريزا الصغيرة ...إلخ، وخير ما تعلمته هو التأمل

(الصلاة الصامتة)، وما زلتُ متمسكاً بها، بالرغم من إختلافات الظروف، ولكن الأحوال وموقف بعض الأخوة إضطرني إلى ترك الرهبنة على مضض.

حينما إنتميت إلى الرهبانية الكلدانية في التسعينيات من القرن الماضي، كانت الفكرة أن نعمل ونقدم شيئاً للرهبانية، والبداية كانت مفرحة للرهبان، فعملتُ بموافقة الرئيس بعض الإرشادات والتأملات والرياضات للرهبان، ودرّستهم اللغة العربية والكلدانية... وأمضيت أربع سنوات بهذه الحياة، فبدأ البعض بالإعتراض والمعاكسة والشكوى لدى الرئيس، فأحبطوا نشاطي، فاضطررت إلى المغادرة.

س: بالعودة إلى عملك في الخورنات، قلتَ إنك خدمتَ في كنيسة سلطانة الوردية، ماذا تُخبرنا عن هذه الفترة؟ وما الخلاصة أو المحصّلة التي تُفيد بها إخوتك الكهنة؟

ج: بعد أن خرجت من الرهبانية الكلدانية سكنتُ سنة واحدة في كلية بابل ودرّست فيها. ثم طلب مني غبطة مثلّث الرحمات مار روفائيل الأول بيداويد، خدمة خورنة سلطانة الوردية في بغداد، فكان ذلك، والتزمتها منذ نهاية 1994 وحتى 2001، فأنشأت قاعات وغرفاً ودارًا للكاهن. وكانت الكنيسة بمثابة قبلة للزوار الذين كانوا يأتونها جوقات وجوقات، منهم الشيوخ والمدرّسون والطالبات... فكنت أنتهز الفرصة للتقرب والتحدث إليهم وعن همومهم ومشاغلهم فيفتحون قلبهم ويدلون بدلوهم الثقيل ويخرجون مرتاحين فرحين.

أما نصيحتي لإخوتي الكهنة، فهي: أن يقيّموا الأمور بقيمتها الحقيقية، وأن يكون لكل شيء مكانه: للصلاة، والثقافة ويستغلوا وقتهم إستغلالاً صحيحًا، ويعطوا كل شيء حقه، لا يضيعوا وقتهم في أمور البناء والمشاريع والماديات والتفاهات، وبأشياء لا روح فيها. وأن لا ينسوا حياتهم الروحية، هذا أهم شيء عليهم أن يتمسكوا به تمسكاً شديدًا، لا حرفيًا، لكي تكون لهم سندًا في كل الظروف والمصاعب.

س : والآن ما هي نشاطاتك ؟

ج : نزولاً عند طلبي المتكرر، حصلتُ من الرئاسة على الإعفاء من خدمة الخورنة في نهاية سنة 2001، وفضلتُ الإقامة في دير المسنّين للقديسة حنة في كرادة داخل – بغداد، لأني منذ بضع سنوات كنت أشعر بتعب عميق ناجم عن (11) عملية جراحية أجريت لي في هذه السنوات الأخيرة. فأخلدت إلى الراحة والهدوء، ولكني لم أخلد إلى الكسل والبطالة، ولم أكف عن القيام بأعمالي المهمة، وأولها الإلتزام بحياة روحية منتظمة، ثم العكوف على مشاريع كتابية عديدة، فأنا الآن أكتب أو أترجم وأنشر الكثير من الكتب، لا سيّما الروحية منها والتاريخية. وأهتم إهتمامًا خاصًا بالمجلتين : " **نجم المشرق** "، وأنا عضو في هيئة التحرير، ومجلة " **بين النهرين** " وانا رئيس تحريرها منذ عام 2001. كما إني أصحح العديد من الكتب والمقالات والاطروحات أو أضع لها مقدمات، وأحسب ان هذه الأمور كلها من ضمن رسالتي. وأمامي هذه السنة مشروع نشر أربعة كتب جديدة، إذا أمدّني الرب بالعمر الكافي لإنجازها !

س : كيف ومتى كانت بداية نشاطك الفكري ؟ وما المواضيع التي استهوتك أكثر من غيرها ؟

ج : جاء نشاطي الفكري متأخرًا قليلاً. فقد درست في المعهد الكهنوتي، وخلال سنوات دراستي قرأت كتبًا كثيرة، عربية وفرنسية، مما أكسبني ثقافة واسعة. وفي الستينيات، شرعت أفكر في الكتابة، وأول كتاب ترجمته من الفرنسية إلى العربية كان كتاب " نشأة الكنيسة " في سلسلة دراسات الكتاب المقدس التي نشرها الآباء الدومينكان في الموصل. وسألت أحد الأصدقاء الكبار أن يصححها. وبعد أيام، أعادها إليّ منزعجًا وقال لي : الترجمة رديئة، وعليك إعادة المحاولة، على ضوء صفحتين أو ثلاث صححها لي. لقد أصابني، والحق يقال، شيء من الإحباط. ولكني أعدت الكرة، وقدمت الترجمة من جديد لهذا

الصديق، وبعد التصحيح قال لي : لا بأس بها، إنها أفضل من السابقة، فإلى الأمام... وشرعت أترجم وأستعين ببعض الأصدقاء للتصحيح. ثم عكفت على دراسة التاريخ، القديم والجديد، المدني والكنسي، وبدأت أكتب في هذا الموضوع وفي موضوع اللغة السريانية وآدابها التي كنت أدرّسها في المعهد. ثم جاءت ترجمات لبعض الكتب التاريخية المهمة، مثل " كتاب الرؤساء " و" تاريخ الرهاوي المجهول ". ثم ظهر كتابي الكبير " أدب اللغة الآرامية " وتبعه " تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية " بثلاثة أجزاء، وغيرها... حتى بلغت كتبي المترجمة والموضوعة أكثر من ستين كتابًا، ومعظمها في الأمور التاريخية والروحية...

س : هذا عظيم جدًا ويستحق التقدير، فنادرًا ما يصل المرء إلى هذا الكم الهائل من الكتابات. وهل ثمة مشاريع مستقبلية ؟

ج : في السنة الماضية (2004) نشرت ستة كتب، بدءًا بكتاب " ومضات " وإنتهاء بكتاب " المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين " وقد أعدت طبعه. أما هذه السنة (2005) فأمامي مشاريع كثيرة ؛ منها كتاب " عشتار " والجزء الثاني من " ومضات "، وكتاب عن شارل دي فوكو، ترجمته عن الفرنسية إلى العربية أثناء عطلتي الصيفية في السويد. والآن أشتغل في كتاب أعتبره مهمًا جدًا، هو كتاب " ديارات العراق "، وأملي أن أنتهي من وضعه وأن أنشره في هذه السنة بعون الله. فأنا أشعر أني في سباق مع الزمن كما أشعر بثقل السنين، لذا أحاول أن أستفيد من كل يوم لكي أقوم بشيء يمكن أن يفيد الآخرين، قولاً أو خدمة أو كتابة.

س : مجلة " بين النهرين " التي ترأس تحريرها، كيف تقيّم مسيرتها، وهل في النية تطويرها وزيادة أعدادها ؟

ج : إجتازت مجلة " **بين النهرين** " فترة عصيبة واعتراها شيء من

الخمول في العقد الأخير من القرن الماضي. وجاءت وفاة رئيس تحريرها المرحوم الأب يوسف حبّي لتزيد الطين بلّة، حتى أوشكت أن تلفظ أنفاسها الأخيرة. فحاولنا معالجة هذه الحالة بما لدينا من الإمكانات. والمجلة الآن، والحمد لله، سائرة سيرها الحسن بخطى ثابتة. وكنا نتمنى أن تظهر أكثر من مرتين في السنة، إلا أننا لا نلقى مساعدة كبيرة وفعالة من علمائنا ومؤرّخينا. وكم كنا نود أن يمدّونا بمقالات علمية رصينة - كل بحسب إختصاصه - تسلّط الأضواء على جوانب عديدة من تراث البلاد المشترك الذي ما زال قسم كبير منه قيد المخطوطات أو على الألواح الرخامية أو الطينية، وهي تنتظر من يحل رموزها ويقدمها لإنسان بين النهرين، فتطلعه على ما امتاز به أجداده القدامى من العبقرية في مختلف المجالات، فتكون لهم حافزًا على أن يحذوا حذوَهم في دروب الإبداع على مختلف الصُعُد.

س : كلمة أخيرة، إلى من توجّهها ؟

ج : كلمتي الأخيرة أوجّهها إلى الجميع، ولا سيّما إلى المؤمنين. فأردد لهم الكلمة الرائعة التي قالها القديس بولس : " إن جميع الأشياء تعمل لخير الذين يحبون الله " (روم 28/8). أجل، كل الأشياء بدون إستثناء، حتى هذه الأوضاع الشاذة القاسية والفوضوية التي نعيش فيها الآن، فعلينا أن نجدد إيماننا بالله الذي لن يتخلى عنا البتة، وثقتنا بمحبته الأبوية وبعنايته الدائمة، وأن نتصرف مثلما يريد الله، بحيث لا تؤثر فينا هذه الظروف تأثيرًا سلبيًا، بل نتلقّى كل شيء بواقعية إيماننا ونحيا كأبناء الله الواثقين بمحبة أبيهم السماوي حتى وسطَ أهوال الحرب والدمار، ونحن نردد بإيمان عميق : " إن كان الله معنا، فمن يكون علينا ؟ " (روم 31/8).

الأب آزاد : كان الله معك دومًا، ودمتَ في رعايته لتُتحفنا بالمزيد من الإبداعات والكتابات.